الغريق الذي يبحث عن قطرة ماء!

حتى لا يطفي التفاؤل « بخطوات السلام الجديدة » على كل شيء . نريد ان يدرك المواطن العربي قبل المسؤول العربي انه في نهاية المطاف تبقى كلمته هي الاساس وهي القرار الدائم بالنسبة لاسرائيل .. فاسرائيل الان في امس الحاجة « لنصر عسكري » سريع يقلب موازين الامور ويفشكل « خطط ضبط النفس » التي لا تشكل امام اسرائيل عائقا لا يمكن كسره وتخطيه، وهي الدولة التي تعودت على هذا السلوك ، لان اسرائيل في اول ما تعنيه هي نظام عسكر ، وبقاء هؤلاء العسكر لا يعني اي شيء بدون انتصار ووجودهم يفقد كل جوهره في ظل وجود سلام لا يفرضونه بمفاهيمهم هم .

والانتصار المطلوب لاسرائيل هو انتصار هيبة ، قبل ان يكون مجرد انتصار عسكري . انتصار لانفسهم ، لمجدهم . انتصار لعقليتهم . ومن ثم انتصار لخلفائهم الذين ارادوهم دائما منتصرين ، ولجمهورهم الغربي والعنصري الذي احب اسرائيل لانها كانت دائما منتصرة في الحلبة . لذا فسوف تعود اسرائيل الى الميدان وتكون هي المبادرة لاستعادة مكانتها من جديد .. فالملاكم المحترف لا يسلم بالنتيجة الا اذا غلب على امره بضربة قاضية ولا يمكن ان يكون مبدأ الانتصار بالنقط (وهذا ما حصل في الحرب العربية الاسرائيلية الاخيرة) هو القانون الذي تقبل به اسرائيل . فالعرب انتصروا بالنقط فقط . ولم ينتصروا النصر النهائي ، اي بالضربة القاضية . لذلك فسوف تعود اسرائيل من جديد لتدافع عن كأس المباراة مع عدوها .

لذلك فالمطلوب الان من اجل المصلحة العربية ولتفويت الفرصة على اسرائيل ان لا ننجر الى ميدان تريده اسرائيل ، الى حلبة تريدها العسكرية الصهيونية والى نمط من الصراع تبتغيه هي. ومن ثم علينا ان لا نعيش على امجاد نصر مؤقت ، وننسى مما هو المطلوب منا في المرحلة القادمة ، مرحلة الحرب سواء حرب السلام أم حرب السلاح فكلاهما خطر . ولكن حرب السلام اصعب علينا من حرب السلاح بالاستناد الى ما تعلمناه من تجربة ٢٥ عاما مع اسرائيل ، تلك التجربة الفنية بالدروس . ومن ثم لا بد ونحن نخوض الان في ميدان السلام ان نعي بكل دقة ماذا ستكون النتائج . فعلى الجميع ان يعد خطواته وهو يتجه في طريق وضع حد للنضال العربي لاستخلاص حقوقنا . ولا بد للجميع ان يعد اصابعه وهو يوقع ايضا صكوك الاعتراف باسرائيل ..

فالحرب ليست لعبة يستطيع الخاسر بها ان يهزم بدون ان يدفع ثمن ذلك ولا يمكن للمنتصر فيها ان يقبل بنصف ثمن لانتصاره ..

★ ★ ★

كيسنجر .. ورقصة الحصان

توضحت صورة العلاقات ما بين اميركا واسرائيل بشكل سافر امام انظار الامة العربية من خلال ما قدمته اميركا لاسرائيل في الحرب الاخيرة من آلات الحرب والدمار والخراب ، ليس هذا بالجديد ولا هو بسر نذيعه للجماهير العربية ، وانما نقوله لانه من ابسط الامور التي لمسها المواطن العربي ، ولكن ان تأتي نتائج مثل هذا الموقف وانعكاسات هذه الصورة بالمديح والاطناب على موقف اميركا ، واكثر من ذلك اعادة العلاقات معها ، وتشريع الابواب امامها بدون سؤال . موقف لا يحتاج الا قول كلمة واحدة « اتفاق » اتفاق مسبق فالحل ، حل اميركي ولا يمكن ان يكون الحل اميركي ، واميركا بعيدة عن المنطقة ، ربما يكون هذا الموقف في ظل تشابك العلاقات الدولية مقبول ولكنه غير مقبول اطلاقا وغير وارد القبول به لدى ادنى المستويات العربية .. لان من سمع القادة السياسيين يضعون صورة اميركا في عقول الجماهير العربية بأقبح الوانها فانهم لن يستطيعوا وبسهولة مسح هذه الصورة ليضعوا مكانها صورة اميركا ذات الموقف « البناء » والحريصة على اقامة السلام العادل الذي يعطي العرب الحق فوق ارضهم ..

فصورة اميركا الحقيقية نابعة من قصف طائرات الفانتوم على احياء دمشق وقرى الدلتا المصرية ، صورة اميركا هي شريط الموت الذي اقيم بين واشنطن وتل ابيب .. هذه صورة اميركا في ذهن المواطن العربي ، كما ان كيسنجر حينما كان يبتسم وهو يشاهد رقصة الحصان المصري في اهرامات مصر قاصرة عن ان تحسن صورة وجه اميركا القبيح في المنطقة .

صورة اميركا لن تمحي من اذهان شعبنا العربي وبالذات من عقول جنودنا البواسل على جبهات القتال .

★ ★ ★

حتى وانت منتصر ..!!

بعد حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ اجتاحت المنطقة العربية حالة من الهبوط المعنوي شملت النفسية العربية . كانت هذه الحالة احدى الاثار التي خلفتها حرب حزيران في المنطقة . وكانت هذه الحقيقة تبرز عند وقوف العربي امام انسان غربي ليحدثه عن شؤون الساعة ..

كان الشعور بالضعف ينتابك كعربي امام الغربي وهو يوجه لك حديثا عن كيفية انتصار الاسرائيليين وهم ٣ مليون على العرب وهم مئة مليون ! هكذا وبكل بساطة يجرد لك الامور من كل ما يحيط بها من ابعاد فليس هذا المشهد هو الوحيد وانما يتضاعف حقدك وغيظك حينما يقذف احد الصحفيين الغربيين احد جرائده الغربية وعلى غلافها صورة لجندي اسرائيلي اسر خمسة جنود عرب بكامل سلاحهم .. يحمل المجلة من اوروبا ويهربها في احد المطارات العربية ، فقط ليضعك كعربي امام صورة بها معنى ويرى من مكانه ردة فعلك الفورية عليها .

هكذا كانت الصورة وما زالت رغم كل ما تكتبه وتقوله وتحكيه الصحافة الغربية الان . حتى عندما استطاع الجندي العربي ان يثبت قوته وانسانيته بقيت المواقف الغربية على حالها واكثر اذ اخذ يعظمها في التزييف والكذب والخداع ، ليستمر في تصوير الجندي العربي بانه الجندي الذي يمكن ان يستسلم بسرعة وانه ليست لديه العقيدة الكافية للقتال والمواجهة .. هكذا خرجت اغلب الصحف الغربية ابان الحرب . وحتى بعض الصحفيين الذين وصلوا المنطقة اخيرا ورغم ما شاهدوه فانهم انحازوا فيما كتبوه لاسرائيل حتى ان احدهم عندما سئل عن انطباعه حول الحرب الرابعة في المنطقة ، هرب من الجواب وقال ان الحرب لم تنته بعد وسئل عن الجزء الذي انتهى من الحرب . فقال : اسرائيل ما زالت باقية . بهذا الشكل يفهمون الامور.. هكذا وبكل صراحة لن يكون العالم معك الا اذا قدمت له ما يثبت انك قوي .. ومن حقه .

★ ★ ★

الفضل يعود .. للفلسطينيين

كان الفلسطينيون على حق عندما رفضوا وقف اطلاق النار في ١٩٦٧ . وهم على حق حين يقررون ايضا رفضهم لقرار وقف اطلاق النار في ١٩٧٣ ليس هذا نابعا من كونهم يحبون الحرب اكثر من السلام وانما لكونهم عرفوا عدوهم بحقيقته وهذا ما تأكد من خلال ما طرحه الشعب الفلسطيني على امتداد فترة صراعه مع القوى الصهيونية حتى الان ..

ولكن ظروف النضال الشاقة والطويلة اعطت النضال الفلسطيني صفات اكثر تحديدا واهمية في سياق التصدي للعدو وللقوى الرجعية في المنطقة . وهذا ما ظهر جليا بين فترتي الحرب الثالثة ١٩٦٧ ، والحرب الرابعة ١٩٧٣ ، فقد ظهر الدور الفلسطيني بارزا في عملية غسل الوهم لدى الانسان العربي ، ذلك الوهم القائل بأن اسرائيل دولة لا تقهر والانسان العربي لا يستطيع مواجهة الانسان الصهيوني .. وقد كان لفترة القتال الفلسطيني التي فصلت ما بين الحرب الثالثة والرابعة ، الاثر الواسع في عملية غسل الدماغ العربي مما علق به ومما حاولت القوى الامبريالية ترسيخه في الذهن العربي . بهذا المعنى كان احد المعلقين الغربيين يتحدث حينما قال انه يعود للفلسطينيين الفضل فيما حصل من شجاعة واقدام للجندي العربي الذي قاتل بروح جديدة في هذه الحرب صدمت الاسرائيليين

ولا يحق لاحد ان يحرم النضال الفلسطيني هذه الميزة ولا يحق لاحد اجتزاء هذه الصورة التي تجسدت وقت اندلاع الحرب الرابعة الجديدة ..

فالثورة الفلسطينية هي التي حركت المنطقة ، بعد سكون دام ١٧ عاما وهي القوة الوحيدة القادرة على الاستمرار في تحريك القضية ، للوصول الى نقطة الاستقرار الدائم التي يفهمها الفلسطينيون اولا واخيرا .

فاسرائيل قبل الحرب ليست كما بعدها ، فاسرائيل الان يجتاحها الحريق واول ما تريد انقاذه من وسط هذا الحريق هو اعز شيء لديها ، هيبتها . فمن يدرك ذلك ، يعرف خداع اسرائيل ويفهم ما يجب ان نفعله الان . طبعا غير ما يفعلونه الان .. غربي القناة .. ■■

ايهاب